أثر اللسانيات الحديثة على فهم القرآن في الاتجاهات العلمانية العربية المعاصرة (د. سوسير أنموذجاً)

The impact of modern linguistics on understanding the Qur'an in contemporary Arab secular trends

De Saussure is a model

أ.د. خالد بن عبد العزيز السيف

أستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية -

Prof. Khalid bin Abdul-Aziz al-Saif

College of Shariah & Islamic Studies

Department of Islamic Doctrine & Contemporary Ideologies

Qassim University – Saudi Arabia

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

الملخص

تحاول العلمانية العربية على جبهات متعددة إعادة فهم النصوص الدينية والنص القرآني على وجه الخصوص، وذلك من أجل الخروج بقراءة جديدة للإسلام متوافقة مع الحداثة الغربية، وهذا البحث يلقي الضوء على المرتكزات الأساسية من اللسانيات الحديثة التي وظَّفها الخطاب العلماني العربي في فهم القرآن، كما يبحث في صحَّة المنهجية العلمية التي اتَّبعها لإيجاد قراءة جديدة للنص القرآني باستخدام اللسانيات الحديثة، والتي انتهي فيها إلى قراءة مغايرة لا تخدمها لغة القرآن، وإنما تهدف إلى التوافق مع النهايات العلمانية الغربية.

كلمات مفتاحية: العلمانية، اللسانيات الحديثة، فهم القرآن، التأويل المعاصر، القراءة الجديدة للإسلام

Abstract:

Arab secularism is trying on multiple fronts to re–understand religious texts and the Qur'anic text in particular, in order to come up with a new reading of Islam that is compatible with Western modernity. The validity of the scientific methodology that he followed in finding a new reading of the Qur'anic text using modern linguistics, in which he ended up with a different reading that was not served by the language of the Qur'an, but aimed at compatibility with Western secular ends

Key words: Secularism, modern linguistics, understanding the Qur'an, contemporary interpretation, the new reading of Islam

❊ ❊ ❊

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن النص القرآني هو النص الموثَّق المقطوع بثبوته، والنص الموجود بين أيدي الناس اليوم؛ هو النص نفسه الموجود في البدايات الأولى لنزوله، ولم يشكك في ذلك أحد، حتى عموم المستشرقين لم يتحدثوا عن موضوع ثبوت النص القرآني، فهذه المسألة تعتبر من القطعيات وذلك سواءٌ عند المسلمين وغيرهم، ولكن تبقى المسألة الأهم هي في فهم النص وتأويله، حيث في هذا المدى بالذات كان الخلاف يأخذ مجراه الطبيعي حتى عند عموم المسلمين بناءً على اختلاف أوجه اللغة العربية أو بناءً على الفهم الخاص بالآيات القرآنية، وما يكتنف ذاك من مباحث الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل والعام والخاص وغيرها من مباحث علوم القرآن التي كان لها دور في فهم النص وتأويله.

وما سبق يعتبر أمراً طبيعياً فهو فهم للقرآن من خلال الحقل الدلالي الذي نزل به، غير أن الذي حصل في النصف الثاني من القرن العشرين تقريباً دخول حقل جديد لمساحة النصوص القرآنية، لا يعتمد على اللغة المعجمية للقرآن، وإنما يعتمد على سياقات أخرى يعدها الإطار المرجعي في فهم النص وتأويله، وهذه المساحات الواسعة تعددت في الفكر الغربي على شكل أدوات وتقنيات ومناهج وفلسفات كلها تجتمع أحياناً وتفترق أحياناً أخرى، وتقدِّم تقنية جديدة لفهم النص أياً كان هذا النص، ومن هذه الأدوات الغربية؛ اللسانيات الحديثة (Linguistics) التي كانت تُعنى في فهم النصوص بشكل عام، وتقدم رؤية جديدة في فهم النص لا تعتمد على الدلالة المعجمية كإطار مرجعي لفهمه.

وعلم اللسانيات الحديثة علم حديث التكوين، تأثر كثيراً بالدراسات الفلسفية الحديثة والمدارس النقدية التي نشأت في أواخر القرن العشرين تقريباً وخصوصاً علم الأناسة (الانثروبولوجيا) والتاريخ وعلم النفس والنقد الأدبي وغيرها، وموضوع اللسانيات هو موضوع اللغة، فاللسانيات تبحث في تجليات اللغة وتحولاتها، من حيث اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية متعددة الجوانب تعمل بشكل آلي على التواصل بين الناس، حيث تقوم اللغة في عملياتها التواصلية على عملية اقتران بين الفكرة والصوت، ومن أجل هذا الاقتران ودور المجتمع بصفته مؤثر في تشكيل اللغة؛ فإن اللسانيات تدخل في إطار الدراسات الاجتماعية، من حيث تأثير المجتمع في تكوين دلالات الألفاظ اللغوية.

وإذا كانت اللسانيات الحديثة قدَّمت فلسفة في فهم النص بشكل عام؛ فإنها لم تكن قد صُمِّمت نظرياتها في قراءة النصوص المقدسة، ولم تكن هي معنية بذلك، ولكن الذي حصل أن مباحث اللسانيات الحديثة لم تستقر على فهم النصوص البشرية فحسب، وإنما امتدت إلى ساحة النصوص الدينية محاولة استخراج مجموعة من الدلالات التي لا تجد مرجعيتها في المعجم اللغوي، وإنما تجد مرجعيتها في مساحات ليس القاموس اللغوي إطاراً مرجعياً لها، وهذا الإعمال

والاشتغال كان للعلمانية العربية المعاصرة النصيب الوافر منه، من حيث توظيف اللسانيات الحديثة في فهم القرآن الكريم وتأويله، والخروج بقراءة مغايرة لا تخدمها لغة القرآن، وإنما تنتهي إلى التوافق مع النهايات العلمانية الغربية.

- **هدف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على توظيف الفكر العلماني العربي للسانيات الحديثة في فهم القرآن الكريم، وذلك من أجل إيجاد قراءة معاصرة للنص القرآني –حسب زعم هذا الخطاب– يتوافق مع الحداثة، ويمكن التعايش به مع الآخر.

- **مشكلة البحث:**

يجيب البحث على سؤال مفاده: **كيف وظّف الخطاب العلماني العربي المعاصر اللسانيات الحديثة في فهم القرآن؟ وما ما هي المرتكزات الأساسية من اللسانيات الحديثة التي استفاد منها في هذا التوظيف؟ وما مدى صحة المنهجية العلمية التي اتَّبعها في إيجاد قراءة جديدة للنص القرآني.**

- **منهج البحث:**

من أجل الوصول إلى نتائج أكثر دقة؛ فقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

- **خطة البحث:**

وقد سار هذا البحث المختصر على الخطة الآتية:

تمهيد.

المبحث الأول: الجانب النظري في اللسانيات الحديثة.

المطلب الأول: التعريف باللسانيات الحديثة وحِراكها الاجتماعي.

المطلب الثاني: علاقة اللفظ بالمعنى في لسانيات دي سوسير.

المبحث الثاني: الاستعمال العلماني للسانيات الحديثة في فهم القرآن.

المطلب الأول: الجانب النظري.

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي .

المبحث الثالث: نقد تطبيق اللسانيات الحديثة على القرآن.

المطلب الأول: نقد الجانب النظري.

المطلب الثاني: نقد الجانب التطبيقي.

والله أسأل أن يكون هذا البحث ناصراً لكتابه وخالصاً لوجه، إنه سميع قريب مجيب ...

تمهيد

قبل الحديث عن اللسانيات الحديثة؛ فإن من المهم معرفة معنى اللسان واللغة في المرجعية التراثية العربية والإسلامية، حيث من خلال ذلك يتبين الفارق المنهجي بين تعامل اللسانيات الحديثة مع النص القرآني، وتعامل المنهجية الإسلامية مع النص القرآني، فقد قال ابن فارس عن معنى اللسان: «واللِّسْنُ: اللغة، يقال: لكل قوم لِسْنٌ أي لغة»[١] وذكر ابن منظور: «اللسان اللغة، واللسن، بكسر اللام: اللغة. وحكى أبو عمرو: لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها»[٢] فاللسان يطلق على اللغة كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الروم:٢٢] قال ابن جرير الطبري في تفسيرها: «اختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها»[٣]. وإذا كان القرآن نزل بلغة العرب ولسانها؛ فإن لسان العرب هو المرجعية في فهم مفرداته وتراكيبه، وهذا الذي درج عليه علماء المسلمين من اعتماد معهود اللغة الذي نزل بها النص في فهم النص وتفسيره، كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي بأن: «اللسان العربي هو المترجم عن مقاصد الشارع»[٤] وقد أوضح ذلك بقوله: «لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَم عرف فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه»[٥] وقد أشار إلى هذا المعنى ابن خلدون أيضاً حيث يقول: «اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه ومفرداته وتراكيبه»[٦] ثم بين ابن خلدون أيضاً أنه لفهم القرآن لابد من الرجوع إلى كلام العرب حيث يقول: «والصنف الآخر من التفسير؛ هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى حسب المقاصد والأساليب»[٧] ولذلك فإن علماء المسلمين ما كانوا يرجعون إلى شيء غير اللغة المحفوظة عن العرب في تفسير النص القرآني، وتعتبر هذه هي الآلية الصحيحة التي تُخضع النص للمعايير والضوابط التي تحددها لغة النص، ويمكن اعتبار مناهج الاستدلال وآليات قراءة النصوص الشرعية التي قدمتها الأبحاث الأصولية مستعينة بذلك بالأبحاث اللغوية من أدق المناهج التي خدمت القرآن، من حيث إنتاج المعنى وفهم النص.

(١) مقاييس اللغة/ ابن فارس ٥/ ٢٤٧.
(٢) لسان العرب/ ابن منظور ١٣/ ٣٨٦.
(٣) تفسير الطبري/ ابن جرير الطبري ٤٧٩/١٨.
(٤) الموافقات في أصول الشريعة/ الشاطبي ٢٤٠/٤.
(٥) الموافقات في أصول الشريعة/ الشاطبي ٦٢/١. وينظر أيضاً ٤٩/٢، ٥٠، ٦٤، ٢٩٥/٣ من نفس الكتاب. الاعتصام/ الشاطبي ٢٣٨/٢.
(٦) مقدمة ابن خلدون/ ابن خلدون ١٧٤/٢.
(٧) مقدمة ابن خلدون/ ابن خلدون ١٧٦/٢.

المبحث الأول

الجانب النظري في اللسانيات الحديثة

- **المطلب الأول: التعريف باللسانيات الحديثة وحراكها الاجتماعي**

فتحت الأبحاث اللغوية في الثقافة العربية والإسلامية وخصوصاً مباحث المجاز مجالاً لإتجاهات الكلام في تبنِّيها للمؤول على حساب ظاهر النص، وكانت الأبحاث اللغوية في هذا المجال قد دفعت بالتأويل الكلامي من حيث علاقة اللفظ بالمعنى ومواضيع الدلالة إلى موقف مغاير في أبحاث فهم نصوص القرآن الكريم بشكله العام. ولكن الذي حصل في مجال الأبحاث اللغوية في القرن العشرين تقريباً شيء مختلف تماماً عما أنجزته الأبحاث اللغوية القديمة وخصوصاً في جانب اللفظ والمعنى وعلاقة أحدهما بالآخر، وما أنجزه الفكر الغربي في هذا المجال اشتهر بتسميته بعلم «اللسانيات» مع أن اللسانيات عنوان عريض يندرج تحته عنوانات فرعية متعددة تصب في خدمة النص وموضوع الدلالة والصوتيات وغيرها من الأبحاث التي غطاها علم اللسانيات الحديث، والذي يُعرَّف بشكل العام بأنه: «عبارة عن العلم الذي يدرس اللغة البشرية من أجل اكتشاف القوانين والأحكام العامة المشتركة بين البشر في جانبها اللغوي»[(١)].

وبعض الباحثين يعبِّر عن اللسانيات بأنها: «العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت، أم منطوقة فقط، ويهدف هذا العلم أساساً إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينهما، والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكل لغة على حدة»[(٢)].

وإذا كان هناك اشتراك بين المباحث اللغوية التي أنجزها المسلمون قديماً وبين اللسانيات الحديثة؛ فإن الجديد في الدراسات اللسانية الحديثة هو تأثُّر مدلولات الألفاظ بالحِراك الاجتماعي، وذلك بالنظر إلى اللغة من أنها نتاج اجتماعي، وهو ما سيؤثر لاحقاً على موضوع فهم القرآن فيمن استقبل هذه النظرية وأعملها في مجال فهم القرآن والنصوص الدينية، وقد عبر عبد السلام المسدي عن اجتماعية اللغة بقوله: «إن اللغة مؤسسة اجتماعية رصيدها رموز، ورموزها أوعية تسكن فيها الصور المشتقّة من حياة الناس في مظاهر المادة والمعاش والأخلاق والمعارف، فيؤول بالمؤسسة اللغوية إلى صوغ شبكة العلاقات الجامعة بين أطراف الحياة البشرية فيما هم قائمون عليه، ثم بين المتعاقبين منهم على محور الزمن، فكان

---

(١) مدخل إلى الألسنية/ بول فابر وكريستيان بايلون ص٩، وينظر أيضاً مدخل إلى اللسانيات/ محمد محمد يونس علي ص ٩، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية/ عبد السلام المسدي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت العدد الثالث والثمانون صيف ٢٠٠٣م ص ٢٣.

(٢) ينظر اللسانيات العامة واللسانيات العربية/ عبد العزيز حليلي ص ١١.

لزاماً أن تتأسس اللغة على قوانين الحركة الذاتية.. فمن المسلمات أن اللغة ظاهرة جماعية واجتماعية، تتحرك طوعاً كلما تلقت منبهاً خارجياً، فالأحداث التاريخية والوقائع الحضارية مما لم يكن صوراً مستنسخة من المتداول المعروف هي التي تستحث اللغة أن تصور دلالاتها عبر صوغ ألفاظها حتى تتلاءم ولتطور المفهوم الحاصل في ذاكرة الحضارة المتجددة»[١].

وقد بدأت الدراسات اللسانية في الغرب في وقت متأخر نسبياً، وقد أصبح هذا العلم في صورته الغربية فيما بعد منهلاً خصباً لنظريات فهم النصوص القرآنية كما هي في الفكر الغربي، وانسحب ذلك على الظاهرة العربية التأويلية في مجال النصوص الدينية، وقد تعاقب على هذا العلم مجموعة من الألسنيين أضافوا إلى العلم بمجمله بعض أفكاره التي لا تزال تتداول في أوساط العلم نفسه[٢]، إلا أن الدارس في علم اللسانيات لا يمكن أن يغفل الألسني المشهور والتي صارت الأبحاث اللسانية مقترنة باسمه، وهو الذي قدم أفكاراً في علم اللغة لاتزال مدار اهتمام دارسي اللسانيات وغيرهم ممن يعنيه البحث في العلوم الدلالية، وهو المفكر السويسري فردينان دي سوسير[٣] والذي يعتبر مؤسس اللسانيات الأول، ونظراً لتأثير أبحاث دي سوسير اللسانية في الفكر العربي المعاصر فيما يتعلق بفهم القرآن، فسيكون الحديث حول آرائه في فلسفة اللغة لأنها تمثل حجر الزاوية في الأبحاث اللسانية المتعلقة بالنظريات الحديثة في فهم القرآن.

فقد كانت أبحاث دي سوسير في اللسانيات عبارة عن محاضراته التي كان يلقيها في جامعة جنيف خلال الفترة (١٩٠٦ – ١٩١١م) في علم اللغة العام والتي كانت مُركَّزةً على المبادئ والمفاهيم الوصفية للغة، وتناول اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وشكل من أشكال السلوك الإنساني الذي يظل عرضة للنمو والتطور والتغير، ولم تُنشر هذه المحاضرات التي كان دي سوسير يلقيها إلا بعد وفاته في عام ١٩١٦م بعنوان «دروس في الألسنية العامة» أو «محاضرات في الألسنية العامة» –حسب عنونة المترجم– ووجد الكتاب رواجاً كبيراً بين المهتمين بالدراسات اللغوية وتُرجم الكتاب إلى عديد من اللغات. ومع أن الكثير من النظريات التي قدمها دي سوسير في مجال علم اللغة العام كان قد أُنجز في الحضارة

(١) ينظر قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح/ عبد السلام المسدي ص١٩.

(٢) ينظر المحاولات السابقة على دي سوسير في مجال الألسنيات: القضايا الأساسية في علم اللغة/ كلاوس هيشن ص٧ وما بعدها، محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير ص ١١ وما بعدها ـ من مقدمة المترجم.

(٣) فريدينان دي سوسير عالم لغويات سويسري ولد عام ١٨٥٧م من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث ويعتبر الأب والمؤسس لمدرسة اللسانيات الحديثة حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية وكانت اللغات تدرس قبل ذلك دراسة تاريخية، وقد توفي دي سوسير عام ١٩١٣م. ينظر معجم الأفكار والأعلام/ هتشنسون ص ٢١١.

الإسلامية[١] على يد عبد القاهر الجرجاني[٢] أو ابن جني[٣] أو حازم القرطاجني[٤] وغيرهم، إلا أن جديد نظريات دي سوسير بقيت ذات أثر كبير في اللسانيات بعمومها في الفكر الغربي وخصوصاً في مجال فهم النصوص وتأويلها.

- **المطلب الثاني: علاقة اللفظ بالمعنى في لسانيات دي سوسير**

تبحث اللسانيات الحديثة كثيراً من الموضوعات اللغوية كالموضوعات المتعلقة بالأصوات والتراكيب والسياق ووظائف اللغة وغيرها، بيد أن الذي يعني هذا البحث بوصفه يتحدث عن تأثير اللسانيات الحديثة في فهم القرآن الكريم؛ هي المباحث المتعلقة بالدلالة، والتي كان لها الأثر في تغيير مديات فهم القرآن سواء في الفكر الغربي أو الفكر العربي المعاصر، وسيكون الحديث عنها من خلال ما دونه دي سوسير كأحد أهم اللسانين في العصر الحديث في محورين أساسيين:

– المحور الأول: «الدالّ والمدلول» بدلاً من «اللفظ والمعنى»

ظل الفكر اللغوي القديم يرى العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اصطلاح مباشرة، فهذه الألفاظ لا تدل على المعاني بذاتها، وليس هناك علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى الذي يدل عليه في الخارج، فالعلاقة اللغوية بين اللفظ والمعنى علاقة اصطلاحية بحتة، واللغة على هذا المفهوم هي نظام من العلامات؛ حتى جاء العالم السويسري دي سوسير وأضاف إلى مفهوم العلامات بُعداً جديداً واستعمل «الدال والمدلول» بدلاً من «اللفظ والمعنى» حيث إن «المدلول» يمثل أحد جانبي

(١) ينظر النظريات التي قال بها دي سوسير وهي منجزة في الحضارة الإسلامية والعربية في بحث: نظريات من التراث العربي في اللسانيات الغربية المعاصرة/ حلام الجيلاني، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الأول، محرم ١٤٢٥/أبريل ٢٠٠٤م إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الجرجاني ولد في جرجان وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان في مطلع القرن الخامس للهجرة عام ٤٠٠ هـ، وقد أقبل منذ صغره على الكتاب والدرس خاصة كتب النحو والأدب والفقه، فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب، كسيبويه والجاحظ والمبرِّد وابن دُرَيْد وغيرهم، وترجع شهرة عبد القاهر إلى كتاباته في البلاغة، حيث يعتبر المؤسس الفعلي لعلم البلاغة، ويعد كتاباه: «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال وقد توفي عبد القاهر عام ٤٧١ هـ. ينظر سير أعلام النبلاء/ الذهبي ٤٣٢/١٨. الأعلام/ الزركلي ٤٨/٤.

(٣) عثمان المشهور بابن جني أبو الفتح عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام ٣٢٢هـ ونشأ وتعلم النحو على يد الأخفش وأبي علي الفارسي وغيرهما من أئمة العربية. اشتهر ببلاغته وحسن تصريف الكلام والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، ألف في العربية وأشهر كتبه كتاب «الخصائص» الذي يتحدث فيه عن اللغة وفقهها، وقد توفي ابن جني عام ٣٩٢هـ. ينظر سير أعلام النبلاء/ الذهبي ١٧/١٧.

(٤) حازم بن محمد بن حسن القرطاجني ولد في قرطاجنة عام ٦٠٨ هـ في الأندلس وإليها نسب، ونشأ في أسرة ذات علم ودين، وتردد على حلقات العلماء في بلده وفي ومرسية وغرناطة وإشبيلية وغيرها، وبعد أن سقطت قرطاجنة في أيدي القشتاليين غادر إلى مراكش ثم إلى تونس واستقر بها، وقد اشتهر بعلوم العربية وأشهر ما وصل إلينا كتابه الشهير «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» وهو كتاب في النقد والبلاغة تطرق فيه إلى نظريات أرسطو في البلاغة والشعر، وتوفي حازم القرطاجني عام ٦٨٤هـ. ينظر الأعلام/ الزركلي ١٥٩/٢.

العلامة اللغوية التي لا تدل على شيء بل تحيل إلى مفهوم ذهني هو بمثابة المدلول دون الشيء، وكذلك «الدال» ليس هو الصوت الملفوظ أو الرمز المكتوب وليس الجانب المادي؛ بل هو الصورة السمعية، والنتيجة التي يتوصل إليها سوسير أن «العلامة» اللغوية عبارة عن وحدة نفسية مزدوجة يترابط فيها العنصران المفهوم والصورة السمعية ارتباطا وثيقاً بحيث يتطلب وجود أحدهما وجود الآخر(١)، يقول دي سوسير: «إن العلامة اللسانية لا تربط شيئاً باسم بل تصوِّره بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي، الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هو الدفع النفسي لهذا الصوت، أو التمثل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا»(٢).

على أن العلاقة بين الدال والمدلول في نظر دي سوسير هي علاقة اعتباطية فليس هناك علاقة حقيقة بين الدال والمدلول كما يقول: «وذلك لتعريفنا العلامة إنها مجموع ما ينجم عن ترابط الدال والمدلول، وهكذا ففكرة (أخت) لا ترتبط بأي صلة داخلية مع تعاقب الأصوات أ.خ. ت. تلك التي تقوم مقام الدال بالنسبة لها، ويمكن تمثيل هذا الأخير بأي تعاقب آخر أياً يكن شكله، وحجتنا في ذلك إنما هي الاختلافات القائمة بين اللغات»(٣).

واعتباطية الدال والمدلول سبق أن أثارتها بعض الأبحاث اللغوية العربية(٤) وهي ليست جديدة على الفكر العربي إلا أن الذي يرمي إليه دي سوسير من هذه الاعتباطية هي الحركة التي سيُلزمها اللغة كما سيأتي في الفقرة التالية.

– المحور الثاني: اللغة بوصفها حِراكاً اجتماعياً

استبدال دي سوسير ثنائية «اللفظ والمعنى» بثنائية «الدال والمدلول» كان له دلالة في فكر سوسير حيث يرمي إلى تحرّك الدلالات اللغوية من خلال هذه الثنائية، فبما أنه قد جعل المدلول ليس الشيء نفسه وإنما ما تحدثه الصورة الصوتية في الذهن للدلالة على هذا الشيء المراد، وهذا هو الجديد في الحقيقة الذي أحدثه دي سوسير في موضوع دلالات الألفاظ، فإن هذا المعنى الناتج بين تمازج ما تحدثه الصورة الصوتية في الصورة الذهنية ليس ثابتاً في نفسه بل هو متغير بناءً على أن اللغة فعالية جماعية تعيش في الوعي الجمعي، وهي بذلك تعيش فوق الظاهرة الفردية، وهي تنطلق من دوافع جماعية نفسية وثقافية، حيث يقول سوسير في هذا السياق: «اللغة نتاج للقوى الاجتماعية ومجموعة المواضعات التي يتبناها

(١) ينظر نظريات من التراث العربي في اللسانيات الحديثة/ حلام الجيلاني، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الأول، ربيع الأول ١٤٢٥هـ تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ٢١٧، النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير/ سعد العبد الله الصويان، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الثاني، جمادى الآخرة، ١٤٢٢هـ، تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص١١٢. أدبية النص محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي/ صلاح رزق ص ٢٠٢، النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة/ نصر حامد أبو زيد ص٨٧ ، ٨٩.

(٢) محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير ص٨٨.

(٣) محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير ص٩٠.

(٤) ينظر لتقرير هذه الاعتباطية: أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني ص٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ جلال الدين السيوطي ٤٧/١. المستصفى/ أبو حامد الغزالي ٧/٣.

الكيان الاجتماعي وهذه القوى تعمل بفعل الزمن في قوانينه في التغير والصيرورة، وما كان يظهر من ثبات اللغة فهو بحسب تموضعها في الزمن نفسه»[١] وبذلك لاتكون مرجعية المدلول في القاموس أو المعجم اللغوي؛ بل في النظام اللغوي العام الذي تتميز به اللغة في كل مرحلة أو زمن لتعكس الواقع الاجتماعي والبنية المعرفية في كل مرحلة من المراحل[٢]. والتصور الذي تنقله لنا حواسنا للصوت خاضع للمتغيرات والمواضعات التي تفرضها الثقافة والمجتمع، وبالتالي فنتيجة الممازجة بين العنصرين المفهوم والصورة السمعية ستكون متغيرة.

وتحرك دلالة الألفاظ كما يرى سوسير هو تحرك حتمي، وتغير الدلالات أمر محتوم لا فكاك منه، ويؤكد دي سوسير ذلك بقوله إن: «للزمن الذي يكفل استمرار اللغة تأثير في تبديل العلامات اللغوية بشكل سريع إلى حد ما، وبمعنى آخر يمكننا الحديث عن ثبات العلامة وتبدلها في وقت واحد.. واللغة عاجزة جذرياً عن الدفاع عن نفسها ضد العوامل التي تنقل من لحظة إلى أخرى العلاقة بين الدال والمدلول، إن هذه لأحدى نتائج اعتباطية العلامة.. واللغة ليست محددة بشيء في اختيار وسائلها، إذا لا ترى مانعاً من ربط فكرة ما بتتالٍ صوتي آخر»[٣].

إن ربط حركة التغير في جانب الدلالات اللغوية من دي سوسير بالسلطة الاجتماعية وحركة المجتمع يحيلنا مباشرة إلى عالم الاجتماع دوركايم[٤]، وهنا يظهر حضور هذا الأخير في فكر سوسير الألسني، وإلى أي مدي خضعت اللسانيات تحت تأثير عقل دوركايم الجمعي[٥]. وهذا ما يفسر تداخل اللسانيات الحديثة مع مباحث علم الاجتماع، وهكذا أصبحت اللغة بعد سوسير –عند البعض– نظاماً متحركاً بعد أن كانت نظاماً ساكناً، وأصبحت معرفة العالم التي تعبر عنه اللغة محكومة بالتصورات الذهنية والمفاهيم الثقافية التي تمنحها السلطة الاجتماعية بعد أن كانت اللغة قبل دي سوسير تعبيراً مباشراً عن معرفة العالم.

---

(١) محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير ص٩٦.

(٢) ينظر الخطيئة والتكفير/ عبد الله الغذامي ص١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، مبادئ اللسانيات العامة/ اندريه مارتينية ص١٧٥، ١٧٩، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام/ ميشال زكريا ص٢٢٥، ٢٢٦، بؤس البنيوية/ ليونارد جاكسون ص ٢١، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية/ عبد السلام المسدي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت العدد الثالث والثمانون صيف ٢٠٠٣م ص٢٥.

(٣) ينظر محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير ص ٩٧، ٩٨.

(٤) دوركايم فيلسوف فرنسي ولد عام ١٨٥٨م ويعتبر مؤسس مدرسة علم الاجتماع في فرنسا، وقد درس دوركايم في فرنسا وسافر إلى ألمانيا ثم عاد إلى فرنسا أستاذاً في السوربون وغيرها من الجامعات الفرنسية، وكانت موضوعات محاضراته لبنات لبناء علم الاجتماع، وألف العديد من المؤلفات يدور غالبها في علم الاجتماع وأصدر «حولية علم الاجتماع « وقد توفي عام ١٩١٧م ينظر موسوعة الفلسفة/ عبد الرحمن بدوي ١/٤٨٠.

(٥) عدَّ كثير من النقاد تأثّر سوسير في أبحاثة اللسانية بالمفكر دوركايم، ينظر على سبيل المثال مدارس اللسانيات التسابق والتطور/ جفري سامسون، ص ٣٩، ٤٠، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى/ بول ريكور ص ٢٥، ٢٦ وغيرهم.

والتطور الذي دفع به دي سوسير المباحث اللسانية من الفصل بين الدال وأي مدلولات خارجية هو ذروة التطور في المباحث اللسانية، من حيث عدم النظر إلى المفردة بكونها ممثلة لشيء محدد في الواقع الخارجي؛ بل النظر إليها بصفتها رؤية سياقية ومعرفية، بما أن اللغة عبارة عن تراكيب أو أنساق من مفردات لغوية ترمز لعمليات ذهنية، وهذا التطور يمكن تلخيصه على أنه عملية ابتعاد تدريجي عن الشفافية الأولى للغة، فإذا كان نموذج سوسير مثيراً للجدل؛ فإن هناك نماذج أكثر تعقيداً ليس من المناسب الدخول في تفاصيلها كما هو نموذج ليفي شتراوس[١] والذي تطرف إلى القول بأنه لا وجود للمدلولات بل توجد دالات فقط[٢] وهذا ما سيفتح المجال للقول بلا نهائية لفهم الدلالات والتراكيب.

إن هذه المباحث اللسانية وخصوصاً في موضوع الدال والمدلول هي التي ستنعكس على الخطاب العلماني العربي، والتي ستكون مادته مادة مهمة يقوم عليها فهمه للقرآن، وستوفر هذه المباحث الغطاء المنهجي لكل القراءات التي ستمنحها الخطابات العلمانية المشروعية في فهم النصوص الدينية والقرآن على وجه الخصوص كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله.

* * *

(١) كلود ليفي شتروس فيلسوف فرنسي ولد عام ١٩٠٨م درس علم الاجتماع في البرازيل، ثم اتجه إلى دراسة اللسانيات والبنيوية التي اعتبرها منهجًا علميًا حقيقيًا مطبّقًا على الظواهر الإنسانية والتي ستعطيه نماذج تفسيرية جديدة من شأنها الكشف عن الدوافع التي تحرك المجتمع والثقافة، وقد شغل كرسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية ١٩٥٩م وكان لأعمال ليفي شتروس وتعليمه أثر بليغ في مجال علم الإنسان. ينظر موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب/ روني إيلي ألفا ٤٠٣/٢.

(٢) ينظر المرايا المحدبة/ عبد العزيز حمودة ص ٢٣٩.

المبحث الثاني

الاستعمال العلماني للسانيات الحديثة في فهم القرآن

- **المطلب الأول: الجانب النظري**

يعتبر منطلق اللسانيات الحديثة من أهم المؤثرات الفلسفية الحديثة في فهم النصوص القرآنية في الخطابات العلمانية العربية، حيث انطلقت اللسانيات الحديثة في مفهومها للعلاقة بين الدال والمدلول كما صاغها دي سوسير –كما سبق– لتبين أنها مشروطة بالنظام اللغوي الذي تتميز به كل مرحلة تاريخية لتعكس الواقع الاجتماعي والثقافي المتغير؛ بما أن اللغة نتاج اجتماعي تتغير حسب القوانين الاجتماعية، فالمدلول متحرِّك على هذا الاعتبار تبعاً لتحرك اللغة بالمفهوم الاجتماعي.

بهذا المفهوم اللساني اتخذت بعض الخطابات العلمانية المعاصرة ذلك منطلقاً لها في صياغة نظرية فهم النصوص القرآنية حسب مخرجات اللسانيات الحديثة، فعلى حدِّ تعبير هذه الخطابات فإن النص القرآني بدوالّه –إذا استعرنا عبارة دي سوسير– مشروطة بالنظام اللغوي الذي صاغته القوى الاجتماعية في القرن الأول الهجري زمن مستقبل النص الأول وهو زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا النظام اللغوي الأول لا يلزم أن يُفرِز نفس المدلولات إذا تغير النظام اللغوي الذي ستصوغه قوى اجتماعية مغايرة كما هي عليه في العصور المتأخرة، وعلى هذا لا يصح –لِسانياً– الاستدلال بفهم مستقبل النص الأول–أو فهم الصحابة– لأن هذا الفهم ينطلق من نظام لغوي تاريخي مغاير أصبح في عداد الفهم التاريخي للنص، لأن كل نظام لغوي اجتماعي ينشئ علاقته الخاصة بين دوالّ النص ومدلولاته التي لا يشاركه فيها أي نظام لغوي تاريخي آخر.

و بما أن اللغة في حركة مستمرة –كما سبق– ولا يمكن ثبات المعنى لتغيُّر المعنى التاريخي فيه؛ فيقترح محمد أركون[1] لقراءة النص ما يسميه بالقراءة التزامنية ويقصد بها: «القراءة المطابقة زمانياً للنص المقروء، أي القراءة التي تحاول العودة إلى الوراء إلى زمن النص لكي تقرأ مفرداته وتركيباته بمعانيها السائدة آنذاك، وليس بالمعنى السائد اليوم، إنها عكس القراءة

(١) محمد أركون (١٩٢٨–٢٠١٠م) مفكر جزائري، أنهى تعليمه الثانوي بالجزائر، ثم انتقل إلى باريس حيث حصل على شهادة التبريز في اللغة العربية والأدب، وعمل مدرساً بثانويات ستراسبورغ ثم أستاذاً في عدة جامعات فرنسية، ودرَّس في السوربون لمدة ثلاثين سنة من ١٩٦١م إلى ١٩٩١م، وشغل كرسي تاريخ الفكر الإسلامي بجامعة السوربون ومديراً لمعهد الدراسات العربية والإسلامية بها لسنوات عديدة، وعمل أستاذً زائراً في عديد من العواصم الأوروبية والأمريكية، جل مؤلفاته بالفرنسية وترجم البعض منها إلى العربية وإلى لغات أخرى.

الإسقاطية التي تقع في المغالطة التاريخية، وتسقط على نص ما معاني زمن آخر وعصر آخر، ذلك أن معني مفردات اللغة تتطور وتتغير من عصر إلى آخر»[١]، وعلى هذا فنسبيَّة فهم النص القرآني متحققة وهي ناتجة عن تغير اللغة ومفهوماتها تبعاً لتغير الظروف الاجتماعية، وهنا نجد أركون يستعين باللسانيات الحديثة لدعم نظرية نسبية فهم النص القرآني حيث يقول: «لا يمكن الفصل بشكل جذري بين الحقيقة والتاريخ، كما كان قد فعل تراثٌ طويل من الفكر المثالي، ذلك أنه ما إن تأخذ حقيقة معينة شكلاً محدداً في لغة ما حتى تجد نفسها قد انخرطت في تاريخية محددة، هنا نجد عالم الألسنيات يقول: بأن الحقيقة هي مجموعة من المفهومات الحافّة المشتركة لدى جماعة بشرية معينة»[٢].

فالعلاقة على هذه الحالة بين مفهومات الدين واللغة إنما هي مُعطى تاريخي ثقافي متغير بالضرورة، وفي كل مرة يتغير فيها النظام اللغوي التابع للفعالية الاجتماعية ينتج مدلولات أخرى، ويعيب أركون في هذا السياق الاعتقاد باستمرارية اللغة، لأن تاريخية النص نتيجة حتمية لتاريخية اللغة والتي يؤكدها نصر حامد أبو زيد[٣] أيضاً بقوله: «ولا خلاف في أن تاريخية اللغة تتضمن اجتماعيتها، الأمر الذي يؤكد أن للمفاهيم بعدها الاجتماعي الذي يؤدي إهداره إلى إهدار دلالات النصوص ذاتها.. وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي الاجتماعي جوهرها الذي تكشفه في النص»[٤] والذي ينفيه أبو زيد هنا هو الذي ينفيه دي سوسير بالضبط بأنه ليس هناك علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى –أو الدال والمدلول حسب عبارة دي سوسير– وإنما لكل دال علاقاته المتغيرة بالمدلولات حسب اللغة بوصفها حِراكاً جماعياً ووعاء لثقافة الجماعة المتحيِّنة في الزمان، وهو الذي يؤكده أبو زيد أيضاً بقوله: «إذا كانت النصوص الدينية نصوصاً بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية محددة هي فترة تشكُّلها وإنتاجها؛ فهي بالضرورة نصوصاً تاريخية بمعنى أن دلالتها لا تنفك عن النظام اللغوي الثقافي الذي تعد جزء منه.. وليس معنى القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الديني عند مرحلة تشكُّل النصوص، ذلك أن اللغة –الإطار المرجعي للتفسير والتأويل– ليست ساكنة ثابتة، بل تتحرك وتتطور مع الثقافة والواقع.. وتطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز»[٥].

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص٢١٣، وينظر ص ١٣١ من نفس الكتاب. تاريخية الفكر العربي الإسلامي/ محمد أركون ص٢٣٩.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص ١٣١.

(٣) نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣–٢٠١٠م) مفكر مصري تخرَّج من كلية الآداب، قسم اللغة العربية، في العام ١٩٧٢م، وحصل على الدكتوراه بأطروحته: تأويل القرآن عند ابن عربي عام ١٩٧٩م، وله العديد من الأبحاث، وقد حُكم عليه بالردة بسبب شطحاته في عام ١٩٩٥م مما اضطره إلى الخروج من مصر والعمل في جامعة ليدن في هولندا ثم انتقل إلى بيروت.

(٤) ينظر نقد الخطاب الديني/ نصر حامد أبو زيد ص ٨٣. دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة/ نصر حامد أبو زيد ص٢٨٧.

(٥) ينظر نقد الخطاب الديني/ نصر حامد أبو زيد ص١٩٨. وينظر أيضاً: منهجية التشريع الإسلامي/ حسن الترابي، بحث ضمن كتاب: قضايا التجديد نحو منهج أصولي ص١٣٧.

وإضافة لما سبق في اعتماد اللسانيات الحديثة في فهم القرآن في الخطاب العلماني المعاصر؛ فإن محمد شحرور انطلق أيضاً من اللسانيات الحديثة بعد تلبيسها ثوباً تراثياً حيث استعان في فهم النص القرآني بالقول بعدم وجود الترادف في اللغة[١]، إلا أن الأساس المنهجي الفعلي الذي تبناه هو اللسانيات كما صاغها دي سوسير، لأن أساس مشروعه التأويلي هو المعاصرة، كما عبر عن منهجه في فهم القرآن بقوله: «الاطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم الألسنيات الحديثة من نتائج وعلى رأسها أن كل الألسن الإنسانية لا تحتوي على خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الكلمة الواحدة ضمن التطور التاريخي إما أن تهلك أو تحمل معنى جديداً بالإضافة إلى المعنى الأول، وقد وجدنا هذه الخاصية واضحة كل الوضوح في اللسان العربي»[٢].

والمهم في موضوع اللسانيات وتأصيلها لمفهوم تاريخية النص –كما في الفكر العلماني العربي المعاصر– أن اللغة التي فُهم بها القرآن إبَّان نزوله لا يلزم أن تكون هي نفس اللغة التي يتداولها الناس في الأزمان المتأخرة وإن كانت تستعمل نفس الدوال؛ إلا أن المدلولات في تغير مستمر بناء على المعطيات الاجتماعية التي تخضع لها اللغة في حركتها مع الزمن، ولذلك فتاريخية الفهم الأول للنص إبَّان نزوله أمر يفرض نفسه لِسانياً، وهذا الفهم المنطلق من معطيات اللغة لا يمكن ثباته مع حركة اللغة المستمرة.

- **المطلب الثاني: الجانب التطبيقي**

إذا كان ما سبق يعتبر حديثاً في موضوع النظرية اللسانية بشكل عام ومدى دورها في فهم النص القرآني في الخطاب العلماني؛ فإن هناك بعض النماذج على مستوى مسائل الاعتقاد تم التوصل فيها إلى فهم مغاير عن الفهم الأولي للنص باستخدام التقنية اللسانية، ففي مفهوم الألوهية على سبيل المثال وفي مفتتح القرآن في سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢] «يقول الإمام الطبري: «الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه بوجه من الوجوه، لا من جهة التسمي به، وأن معنى الله هو المعبود، ولا معبود غيره جل جلاله»[٣] أما أركون سبيل فيرى أركون أن تثبيت مفهوم «الله» –على حد تعبيره– يعتبر تلاعباً بالحقيقة التاريخية والعقائدية من حيث إن هناك: «عمليات إجبارية فرضتها الظروف الاجتماعية الأولية للتجربة التأسيسية.. هذه العمليات التي ولدت الخطاب القرآني أو التي ولدها الخطاب القرآني»[٤]. إن أركون يرى أن تثبيت هذا المفهوم أيضاً خضع لإكراهات إيديولوجية من أجل خلع صفة الحقيقة المطلقة للتفسير

(١) ينظر القران والكتاب قراءة معاصرة/ محمد شحرور ص٤٤. بناء على أن عدم الترادف في اللغة قال به ابن فارس، مع أن جمهور اللغويين على خلافه.

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ محمد شحرور ص٤٤.

(٣) تفسر الطبري/ ابن جرير الطبري ١٣٣/١.

(٤) ينظر الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص ١٠١.

الإسلامي للنصوص الشرعية حيث يقول: «جعل السلطة محصورة بالله الذي أعيد تحديد مفهومه بشكل صحيح من قبل الفاعل –الذات الأكبر المنتج للتاريخ– ثم محصورة بالنبي الذي كان في طور قيادة الصراع على كل الجبهات العسكرية والسياسية والثقافية والرمزية.. وعندما يختفي هذا الأخير قواعدياً وسيميائياً[١] وتاريخياً فإن كل وظائفه سوف تنتقل إلى العديد من الوسطاء الذين يحملون مسؤوليتها فعلياً من الفقهاء وكل المفسرين وكل المؤرخين الذين سوف يؤولون كلام الله على مر الأزمان.. متجاوزين بذلك الدلالات الحافة الإجبارية والإكراهات النحوية السيميائية للنص»[٢] ويعلل أركون بأن الذين تمسكوا بتصور واحد؛ لجأوا إلى وسيط منجز مطلق، والوسيط هو الدين الحق، وهو ما كان مطالب به الفاعلين الاجتماعيين لحظة التأسيس، وهو الدور المرسوم للنبي والمؤمنين، وهذا التمسك بالتصور الواحد كما يراه أركون ناتج عن غرض أيديولوجي بحت.

إن أركون هنا يحاول توظيف اللسانيات الحديثة في تجاوز مفهوم «الله» المتعارف عليه إلى مفهوم آخر متغير بناءً على مقررات هذه المناهج الحديثة من أجل تجاوز الفكر الديني التقليدي –على حد تعبيره– إلى فكر ديني جديد يبدأ من نقطة البداية وهو الاعتقاد المتغير في مفهوم «الله» إلى المسائل التي تندرج تحت هذا الأصل والتي تترتب على الاعتقاد بذلك المفهوم، وفي هذا السياق يقول أركون أيضاً مستوحياً لسانيات دي سوسير في معرفة كلمة «الله»: «ينبغي أن نعود إلى اللغة الأولى التي يتكلم الله بواسطتها ويؤكد ذاته، أي الكتب المقدسة نفسها، فهذه الكتب هي أيضاً مشكَّلة من لغة طبيعية بشرية.. فهذا التصور مثالي عذب خاص بالعصور الوسطى، أي عندما لم يكن الناس يستطيعون التفريق بين الاسم والمسمى، بين الكلمة والشيء الذي تدل عليه»[٣] فإنه حسب نظرية دي سوسير في الاسم والمسمى أو الدال والمدلول، ليس هناك ثبات في اللغة البشرية، إلا أن الملاحظ في محاولة أركون في تجاوز المفهوم التقليدي للألوهية –على حد تعبيره– لم يكن يعتقد بنهاية مقولاته عند هذا الحد، بل إن البحث في هذا المفهوم من خلال العلوم النقدية الحديثة –حسب أركون– سيعطي نتائج مذهلة لم تكن معروفة في الخطاب التقليدي، وهو ما ينتظره من الأجيال القادمة التي ستحفر في تلك الحقول المعرفية القديمة.

وإذا تجاوزنا مفهوم الالوهية في الخطاب العلماني المعاصر ومدى تأثير اللسانيات الحديثة في فهمه ودلالاته؛ فإن هناك بعض القضايا المتعلقة بالأسماء والأحكام هي أيضاً تم وضعها فوق مشرحة اللسانيات الحديثة. فإن من المعلوم ضرورةً أن الشارع نقل كثيراً من المعاني اللغوية إلى حقائق شرعية، وأعطاها مفاهيماً تزيد على مفاهيمها في حقيقتها اللغوية، ورتب على هذه المدلولات أحكاماً شرعية على اختلافٍ في هذه الأحكام، ومن أهم المصطلحات الشرعية التي يدور عليها

(١) السيميائية هي العلم الذي يبحث في الإشارات والرموز ودلالاتها الاجتماعية، وهو العلم الذي اشتهر به دي سوسير. انظر المعجم الفلسفي، مراد وهبة ص٣٧٨.

(٢) ينظر الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص ١٠١.

(٣) قضايا في نقد العقل الديني/ محمد أركون ص٢٧٨.

الكثير من الأحكام الاعتقادية مصطلحي «الإيمان» و «الكفر»، ولما يتعلق بهذين المصطلحين من ناحية الدخول في دائرة الإسلام من عدمه، أو موقف المسلمين من الكفار من ناحية الولاء، وغيرها من متعلقات هذه المصطلحات الشرعية؛ كان للخطابات العلمانية موقف مغاير وفهم مختلف لهذه المصطلحات.

إن مفهوم الإيمان الشرعي لا يحتاج إلى بيان ومثل ذلك الكفر الشرعي، فهي مصطلحات لا يختلف في مدلولاتها عموم المسلمين، ففي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات:٧] قال الإمام الطبري عن مصطلح الإيمان: «والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل»[(١)] وقال عن الكفر: «معنى الكفر: الجحود، وهو جحد ألوهته ووحدانيته»[(٢)] ولكن عندما يتعامل الخطاب العلماني المعاصر مع هذه المصطلحات الشرعية بالأدوات اللسانية؛ فإن هذه المدلولات لن تكون مغايرة فحسب بل ستكون متغيِّرة بشكل مستمر، وذلك بناء على دراستها من ناحية لسانية اجتماعية، وإعطاء هذه المصطلحات الصبغة التاريخية لتكون في المحصلة النهائية مدلولات من إنتاج المجتمع إبَّان فترة تاريخية محددة، وهذا ما يقرره كثير من الاتجاهات العلمانية؛ بأن مسائل الإيمان والكفر هي تأثيرات مجتمعية تاريخية، فعلى سبيل المثال يقرر حسن حنفي[(٣)] أنه: «من المستحيل الحديث عن موضوع الإيمان والكفر والفسوق والعصيان.. إلا من خلال المادة التاريخية القديمة بأسمائها وأشخاصها وفرقها وحوادثها حول الفتنة الكبرى»[(٤)] ولذلك –حسب الخطاب العلماني المعاصر– فإنه لمعرفة مدلولات الكفر والإيمان ينبغي النظر في السياق التاريخي لانبثاق هذه المصطلحات، فتتبُّع مصلح «المؤمنون» و «الكفار» في مسيرتهما التاريخية وخصوصاً أثناء نزول الوحي سيعطي دفعة للتجديد اللاهوتي، فمصطلح «المؤمنون» و «الكفار» كما يقول أركون: «ليسوا إلا تسميات مريحة وسهلة تدل على أدوار محددة داخل التشكيلة السيميائية، وعلى مضامين معينة داخل الحقل السيمانتي والمعنوي الخاص بالخطاب القرآني الذي لا يمكن فصله عن العمليات الاجتماعية التي ولَّدته، أو التي يمثل تجليها اللغوي المتسامي (أو الذي يتسامى بها) إني اعتبر وجهة النظر هذه حاسمة»[(٥)] إن أركون هنا يستدعي لسانيات دي سوسير –وإن كان لم يصرح بذلك– حيث يفرَّغ المصطلح من مضامينه الشرعية للإبقاء على

(١) تفسير الطبري/ ابن جرير الطبري ١/ ٢٤١.

(٢) تفسير الطبري/ ابن جرير الطبري ٢٢/ ١٢٧.

(٣) حسن حنفي حسنين ولد بالقاهرة عام ١٩٣٥م وتخرج من جامعة القاهر عام ١٩٥٦م ثم سافر إلى فرنسا وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون عام ١٩٦٦م ثم عاد أستاذاً في جامعة القاهرة، كما عمل أستاذاً زائراً في عدد من العواصم العربية والعالمية، وهو الآن أستاذ متفرغ بقسم الفلسفة بآداب القاهرة ولا زال يمارس نشاطه العلمي في التأليف واللقاءات العلمية.

(٤) من العقيدة إلى الثورة/ حسن حنفي ٥/ ١٣٤، ١٣٥. وينظر ٥/ ١٢٢ من نفس الكتاب.

(٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص١٠٠. وينظر أيضاً: قضايا في نقد العقل الديني/ محمد أركون ص١١٩، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني/ محمد أركون ص٩٨، ٩٩.

بعض المضامين اللغوية القابلة للحركة، فيرى –حسب ما يعبر عنه هاشم صالح– أن: «الأصل لكلمة «مؤمنون» كانت تعني الأمان الذي يضمنه أعضاء الجماعة الجديدة لبعضهم بعضاً، أي الأمان بالمعنى البدوي والعربي القديم للكلمة، ثم فيما بعد شحنت الكلمة بالدلالة التيولوجية وأصبحت تعني المعنى المصطلحي الذي نعرفه اليوم»[١] وأركون هنا يحاول أن يستخدم التزامن التاريخي للكلمة، مع أن المعنى التزامني التاريخي للكلمة مغاير للمعنى الذي يحاول الاستمساك به.

إن الاعتماد في فهم مصطلح «الإيمان» و «الكفر» يعتمد هنا بشكل غالب على اللسانيات الحديثة، وهي مرحلة منبثقة من الوضع الاجتماعي؛ مع أن الوضع الاجتماعي المُفرز لهذا المدلول يستخدم هذه الدوال للمدلولات الشرعية أكثر منه في المدلولات اللغوية، ولذلك فالخطاب العلماني لا ينفك من استخدام المناهج المتعددة للوصول إلى التأويل الحديث والمتغير، وأن هذا النشوء مربوط بلحظة زمنية غير قابلة للثبات.

إن مدلوليّ الإيمان والكفر الشرعيين –في نظر الخطاب العلماني– هما مدلولان تاريخيان مرتبطان بلحظة زمنية محددة، ولذلك فهذا المفهوم غير ممتد بل هو متغير حسب الظروف الاجتماعية والثقافية التي تعيشها الجماعة: «فيمكن للمسلم أن يُنكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً في سلوكه» –على حدِّ تعبير حسن حنفي[٢]– لأن مدلول الغيب متغير، ومدلول الكفر والإيمان متغير أيضاً، ولذلك فالخطاب العلماني الداعم لهذا التأويل ينتقد تقسيم الناس إلى مؤمنين وكفار بناءً على مفاهيم فقدت قيمتها المعرفية، ولا تتلاءم مع متطلبات التجربة المعاشة.

* * *

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون ص٩٩ «هوامش المترجم».
(٢) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر/ حسن حنفي ص٩٣.

المبحث الثالث

نقد تطبيق اللسانيات الحديثة على القرآن

- **المطلب الأول: نقد الجانب النظري**

تعتبر عموم النظريات النقدية الغربية العاملة في النص ليست نظريات محسومة، وليست نظريات متفق عليها بين النقاد الغربيين، بل إن هذه النظريات بينها تصارع واختلاف كثير، والمباحث اللسانية لا تشذُّ عن هذا، فليست كل المباحث اللسانية محل اتفاق ولا يمكن اعتبارها نظريات مطلقة، ولسانيات دي سوسير والتي تعتبر من المرتكز الأساسي للسانيات الحديثة هي أيضاً بدورها خضعت لمحكِّ النقد والمعارضة من بعض النقاد الغربيين، ولم تؤخذ في النقد الغربي على وجه الإطلاق أبداً، وإن كان هذا النقد لا يلزم منه الهدم بقدر ما يبين أن المدارس في اللسانيات الحديثة في تصارع عنيف، وليس هناك اتفاق بقدر ما هنالك اختلاف، وليس هناك مقولات لسانية قادرة على وجه الدقة على تحديد تحولات المعاني أو «المدلولات» -على حد تعبير دي سوسير- بشكل قطعي، وذلك بسبب تقليل اللسانيات من أهمية الدلالة اللفظية الكامنة في اللفظ أو الدال حسب ما توحي به اللغة ذاتها لحساب الدوال الأخرى والخارجة عن جوهر اللغة، سواء قلنا إنها السياق الاجتماعي أو غيره، وهذه الآلية اللسانية في تحوّل المدلولات بناءً على المتغيرات الاجتماعية عارضها بعض النقاد الغربيين من أمثال جيل دولوز[١]، إذ يرى أن هذا الربط بين المتغيرات الاجتماعية والمدلولات المتعددة ليس ربطاً حتمياً، وأن هناك طرقاً لمعرفة علاقة الدال بالمدلول غير المباحث اللسانية التي جاء بها دي سوسير حيث يقول: «إن تحليل أنماط أسلوب انتظام العلامات (أو السيمائيات) يندرج ضمن سياق الإطاحة بإمبريالية اللسانيات وسلطتها القاهرة، إذ تستوجب الضرورة أن تقع البرهنة على أنه ثمة عدة طرق مختلفة في كيفية تشغيل العلامات وتنسيقها، وأنه ليس ثمة طريقة واحدة متمثلة في المنحى اللساني الذي أتى به دي سوسير أو الذي أتى به تشومسكي[٢]، فالمنحيان يعليان من شأن (الدال) بشكل سلطوي وإمبريالي، ثمة وهم شائع مغرور يرى أن اللسانيات هي الحقل المعرفي الوحيد القادر

(١) جيل دولوز (١٩٢٥ ١٩٩٥م) فيلسوف فرنسي درس في السوربون وكتب في الفلسفة والأدب والأفلام والفنون الجميلة، وعمل أستاذاً في بعض الجامعات الفرنسية، كما تولى بعض المناصب فيها.

(٢) ناعوم تشكومسكي من مواليد فيلاديلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٨م وهو أحد أهم اللسانيين المعاصرين وواحد من أكثر العلماء تأثيراً في علم اللغويات وعلم النفس، وهو بالإضافة إلى عمله في اللغويات، فإن تشومسكي معروف على نطاق واسع كناشط سياسي، وبانتقاده للسياسة الخارجية للولايات المتحدة والحكومات الأخرى الموالية لها.

على الانفراد بالنظرية المناسبة والمطابقة والشاملة للتعبير»[١]. إن نقد جيل دولوز هذا يأتي ليبّن أن النظريات اللسانية وإن طُرحت في النقد العربي على أنها نظرية مُسلَّمة؛ إلا أن الواقع يخالف ذلك تماماً، وأن النظرية وجّهت إليها سهام النقد بشكل مكثَّف ليس هذا إلا إشارة إلى بعضه.

- **المطلب الثاني: نقد الجانب التطبيقي**

إذا كان ما سبق يبيِّن أن اللسانيات الحديثة ليست نظرية مطلقة، وأن هناك اختلافاً بين النقاد الغربيين في مدى قدرتها على تحديد المدلول على وجه الدقة؛ وعلى افتراض كانت النظرية اللسانية نظرية مطلقة؛ هل يصح تطبيقها على القرآن من أجل فهمه بطريقة معاصرة كما تدَّعي الخطابات العلمانية المعاصرة؟ إن الرؤية الجديدة التي قدمتها النظرية اللسانية الحديثة في فهم النص وخصوصاً في قراءة النص القرآني؛ قد حصل فيها خروقات علمية كبيرة، حيث إن هذه النظرية المستخدمة في مجال النص القرآني تُغفل أن القرآن الكريم بحدِّ ذاته نص مكتمل المعالم النصوصية –حسب علم النص الحديث [٢]–وليس عبارة عن نصوص مجزأة غير مترابطة، وهذه التكاملية والوحدة في النص القرآني راجعة إلى أن مُصدِر النص وقائل النص هو الله سبحانه وتعالى من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن النص نفسه وِحدَة واحدة مترابطة زمانياً ومكانياً حيث إنه من الثابت في صحيح السنة أن القرآن نزل من السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفرَّقاً حسب الوقائع كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان:٣] وقوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدْر:١] حيث قال: «أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة»[٣] ولذلك فإن النص القرآني قائم على الوحدة الموضوعية سواء بين السور نفسها، أو بين الآيات داخل السورة الواحدة، وهذه الوحدة الموضوعية كانت مدار اهتمام علم المناسبات أحد أهم مباحث علوم القرآن، ودُوّن في ذلك الكثير من المباحث على اعتبار أن القرآن الكريم نصاً كلياً واحداً ذو بنية متكاملة[٤]، وهذه الوحدة الموضوعية في النص القرآني حاضرة في الاستعمال الفقهي للنصوص القرآنية،

(١) ألف ربوة/ جيل دولوز ص١٨٢ «كتاب غير مترجم» نقلاً من: جيل دولوز أو نسق المتعدد/ فيليب مانغ، ترجمة: عبد العزيز بن عرفة، ص٨٩.

(٢) يرى علم النص الحديث أن النص لا بد أن يتحقق فيه الشروط التالية: سياق، رسالة، مرسل، مرسل إليه، وسيلة، شفرة. ينظر الخطيئة والتكفير/ عبد الله الغذامي ص٧.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في تفسير سورة الفرقان باب قوله تعالى:» هو الذي جعل الليل خلفة..» ح(١١٣٧٢). وصححه الحاكم في المستدرك ٢٤٢/٢.

(٤) من كتب التفسير المهتمة في موضوع علم المناسبات على سبيل المثال: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ الإمام البقاعي. التحرير والتنوير/ ابن عاشور. تفسير أبي السعود وغيرها.

وقد تولَّد من ذلك مباحث العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، وغيرها من المباحث التي يستخدمها المشتغلون في النصوص القرآنية من حيث إن القرآن الكريم نصّاً كلياً لا يمكن فصل بعضه عن بعض، ولذلك فإن ما تقوم به اللسانيات الحديثة في فهم القرآن لا يراعي الوحدة الموضوعية للنص أيّاً كان هذا النص الكلي، وهذا الإهمال لهذه الوحدة يسبب خروقات في الفهم الكلي للنص ذاته، وقد انتبه أمبرتوإيكو[١] على أهمية موضوع الانسجام في النص حيث يقول: «إن الانسجام الداخلي للنص هو الرقيب على مسيرات القارئ، وبغير ذلك لا يمكن التحكم في مصيرها»[٢] وهذا ينطبق أيضاً على النص القرآني بوصفه نصاً كلياً ذو بنية متكاملة.

من هذا المنطلق السابق في تعاطي اللسانيات الحديثة مع النص القرآني والمُهمل لاعتبار البنية المتكاملة للنص القرآني؛ تولَّد عنه عدم ضبط في موضوع الدلالات وفهم النصوص بشكل عام.

وباعتبار آخر؛ فإن النص القرآني نصّاً كلياً متكاملاً؛ ولذلك فإن فهم أي وحدة نصية منه مشروط باتساق الفهم العام للنص الكلي، سواء على مستوى سياق الآية بالنسبة للآية، أو على مستوى سياق الآية بالنسبة للقرآن ككل، وهذا الاعتبار للسياق كان محل اهتمام في أعمال المفسرين الأوائل من حيث تقديمهم للسياق الداخلي للنص وهو ما اشتهر الاصطلاح عليه بتفسير القرآن بالقرآن وهو أدق منهجية لفهم للنصوص القرآنية، حيث تمنع هذه المنهجية فرض المعني من خارج النص نفسه، مع أن المدارس اللسانية الحديثة لا تنكر هذا المعني من السياق؛ إلا أن التطبيق العربي على النصوص القرآنية يخالف ذلك تماماً وذلك بسبب الازدواجية بين النظرية والتطبيق، حيث تفرض هذه الازدواجية معاني وتأويلات من خارج النص تتعارض كلياً مع النص نفسه.

وجانب آخر من اختلال موضوع الدلالات في اللسانيات الحديثة فيما يتعلق بفهم النص القرآني، وهذا الجانب يتمثل بفرض فهم للنص من خارج السياق لأسباب قد تكون إيديولوجية أو غيرها، حيث إن النص القرآني له سياقه الخاص بالمعنى الحديث لكلمة السياق، والذي يعرفه ياكوبسون[٣] بقوله: «السياق: هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها»[٤] فكما أن الشعر الجاهلي له سياقه الخاص، والسرد التاريخي له سياقه الخاص، حيث لا يمكن فهم الشعر الجاهلي أو السرد التاريخي إلا بعد معرفة السياق العام للشعر الجاهلي أو للسرد التاريخي من ناحية الألفاظ والمدلولات والمرتكزات الأساسية، ويفسَّر عدم استيعاب مثل هذا النوع

---

(١) أمبرتو إيكو (١٩٣٢-٢٠١٦م) فيلسوف إيطالي وروائي وباحث في القرون الوسطى، حصل على دكتوراة في الفلسفة في ١٩٥٤م حيث كتب أطروحته عن توما الأكويني، ويُعرف بروايته الشهيرة اسم الوردة ومقالاته العديدة. وهو أحد أهم النقاد اللادينيين.

(٢) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية/ أمبرتو إيكو ص٧٩.

(٣) رومان ياكوبسون (١٨٩٦-١٩٨٢م) عالم لغوي، وناقد أدبي روسي من رواد المدرسة الشكلية الروسية، وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين، وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن والصوتيات.

(٤) نقلاً من كتاب الخطيئة والتكفير/ عبد الله الغذامي ص٨ بدون ذكر اسم المرجع.

وخصوصاً الشعر الجاهلي –على سبيل المثال– من غياب سياقه عند بعض المتلقين، حيث إن لكل سياق شَفرة لا يمكن أن تُفسَّر إلا ضمن سياقها، فلا تُفسر الشّفرة الشعرية ضمن السياق التاريخي أو الفلسفي على سبيل المثال، ولكن تُفسر ضمن مجالها السياقي الشعري، ومثل ذلك في النصوص الفلسفية والتاريخية والسرد الحكائي وغيرها، وعند الحديث عن النص القرآني؛ فإن له سياقه الخاص من ناحية الألفاظ وطرق الدلالة والإجمال والتقييد والتكرار والدوال وغيرها مما لا يتوفر في أي نص آخر، إلى جانب خصوصية النص القرآني والراجعة إلى مصدره الإلهي، وهذا الجانب من السياق تم إغفاله من قبل متعاطي اللسانيات الحديثة.

وإذا كان السياق الداخلي مهماً في فهم النص القرآني؛ فإن السياق الخارجي وهو مدلولات اللغة أثناء نزول النص والاستقبال الاجتماعي للنص بشكل عام ومدى اعتبار فهم وتفاعل المخاطبين الأوائل للنص القرآني كل هذا لا يقل أهمية في فهم النص، فإن الاستقبال الأول للنص له اعتباره الأولي في الدلالة والفهم، وهو اعتبار فهم المخاطبين الأوائل بالنصوص أول مرة وهم الصحابة رضي الله عنهم، واعتبار ذلك حجة على فهم من خالفهم، وهذا الاعتبار المهم للفهم الأولي للنص في التلقي والتأويل؛ اعتبرته بعض المدارس النقدية الحديثة من حيث فهم النص بالنظر إلى المتلقي وتفاعله مع النص وإن كان بشكل غير متكامل، وهو ما يُسمى في النقد الغربي بـ«جماليات التلقي» والتي اشتهرت بها مدرسة تحليل كونستانس[١] على يد هانز روبرت جوس[٢] وإيزير على تكامل بينهما، حيث يرى هانز روبرت جوس: «أن العمل الفني عامة والعمل الأدبي على وجه الخصوص لا يفرض نفسه ولا يستمر في الحياة إلا من خلال جمهور ما، وعليه فإن التاريخ الأدبي هو تاريخ جماهير القراء المتعاقبة أكثر من تاريخ العمل الأدبي بحد ذاته، وبما أن الأدب هو نشاط تواصلي؛ فإنه ينبغي علينا أن نحلل الأدب من خلال الآثار التي يتركها على مجموعة المعايير الاجتماعية.. أما إيزير فكان اهتمامه منصباً على تحليل أثر النص الأدبي على الفرد القارئ، وينطلق إيزير من أن القارئ هو الغاية الكامنة في نية المؤلف حين يشرع في الكتابة، وعليه فإن واجب النقد الأدبي هو أن يبين كيف ينظم الكتاب المدروس طريقة قراءته ويوجهها بغاية الحصول على الأثر المُبتغى، ثم عليه أن يظهر ردة فعل الفرد القارئ في ملكاته الإدراكية أمام السبل المختلفة التي

(١) مدرسة كونستانس مدرسة ألمانية تمثل اتجاه جديد في تناول الأعمال الأدبية، وحظيت باهتمام بالغ في الأوساط النقدية في ألمانيا وخارجها، إذ تحولت النظرة النقدية للنص نتيجة لجهود هذه المدرسة إلى القارئ والكيفية التي يستقبل بها النص وكيفية فهمه ونظرته إلى النص وما يضيفه القارئ إلى النص من خلال تفاعله معه بعد أن كانت النظرة النقدية تتأرجح ما بين المؤلف والنص. ينظر التلقي والتأويل عند عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني/ فاطمة البريكي ص١٤٥. ضمن ندوة التأويل في الفكر التراثي والمعاصر.

(٢) هانس روبيرت جوس (١٩٢١–١٩٩٧م) عالم لغوي ألماني ومنظِّر أدبي، وأهم الممثِّلين الأساسيين لمدرسة كونستانس، حصل على الدكتوراه في فيلولوجيا اللغات الرومانية، كما عمل أستاذاً في عدد من الجامعات الألمانية، وتعتبر نظرية جماليات التلقي أبرز النظريات النقدية التي يُعرف بها. ولفنجانج إيزير (١٩٢٦–٢٠٠٧م) فيلسوف وعالم لغة ألماني، وهو من رواد مدرسة كونستانس درس اللغة الإنجليزية والأدب والفلسفة وحصل على الدكتوراه، زار العديد من الجامعات العالمية محاضراً، ويعتبر أيزير من رواد نظرية جماليات التلقي.

يقترحها»[١] ويؤكد هانز روبرت في نظرية التلقي من أن: «فهم القارئ الأول سيؤخذ به وسيُنمَّى في سلسلة عمليات التلقي من جيل إلى جيل»[٢] والذي يهم من هذه المدرسة الحديثة أن متلقي النص الأول والمخاطب به له اعتباره في الفهم والتأويل من حيث إن السياق المتزامن مع انبثاق النص بعمومه أساس الفهم، وبذلك فهمت النصوص القرآنية أول ما نزلت بهذه الاعتبارات.

إن «نظرية جماليات التلقي» بعمومها لها وجاهتها في بعض جوانبها –وإن كان بعض جوانبها لا يمكن التسليم بها وليس هنا مجال الحديث عنها– لكن الملاحظ أن الاستعمال العربي للسانيات الحديثة لا يستثمر نقاطها الإيجابية والمتعلقة بدراسة تفاعلات المتلقي الأول للنص، ومدى أهمية هذا التفاعل في فهم النص، والسبب يرجع إلى أن الجوانب الإيجابية في هذه النظرية واعتبارها للفهم الأولي للنص؛ لا تخدم التأويل اللانهائي للنصوص القرآنية، ولأجل ذلك فإن الخطاب العلماني المعاصر والممارس نشاطه على النصوص القرآنية وجد في النظريات اللسانية وخصوصا تلك التي دشَّنها دي سوسير ملاذاً في محاولة تغيير فهم القرآن عن معناه الأولي والذي فهمه المخاطبون الأوائل أثناء نزوله، فبما أن القرآن يستمد مرجعيته الدلالية من اللسان العربي الثابت؛ فإن الاتجاهات اللسانية تحاول تجاوز هذا الثبات في فهم دلالة هذه النصوص من خلال التطورات الدلالية اللاحقة والناتجة عن تفاعل اللغة مع المتغيرات الاجتماعية، وإسقاط تلك الدلالات الحادثة على النص القرآني سواء كان ذلك الإسقاط في نصوص المفاهيم الاعتقادية أو في نصوص الأسماء والأحكام وقد سبق شيء من ذلك.

وإذا كانت النظريات اللسانية نظريات لم تستقر ولا يمكن القطع، وليس هناك اتفاق عليها –كما سبق– فإنه لا يمكن التحول من الدلالات المحكمة والقطعية في النصوص والتي لها معانٍ واضحة لا تحتاج إلى تفسير؛ إلى الدلالات الظنية الناتجة عن الحفريات اللسانية وخصوصاً إذا كان ذلك في مجال النص القرآني، والسبب في هذه الحفريات التي تقيمها اللسانيات في معاني النصوص؛ أن اللسانيات بشكل عام تقلل من أهمية الدوال اللفظية للنص لحساب الدوال الأخرى المكتنفة للنص من خارجه.

إن المباحث اللسانية كما سبق تجعل للسياقات الاجتماعية قدرة في تحوير دلالة مفهوم النص بناء على أن اللغة فعالية اجتماعية، وهذا ناشئ بالطبع من السياق العام للنظريات النقدية الحديثة من تهميش لدور المؤلف، وهذا بدوره انسحب على المشتغلين باللسانيات الحديثة العاملة في مجال النصوص الشرعية، من النظر إلى الدال والمدلول –حسب مصطلح دي سوسير– مجرداً عن مصدر النص. إن اللسانيات الحديثة وخصوصاً في مجال النص القرآني تُغفل كون دلالة الألفاظ نابعة من الإرادة، من حيث إن إرادة قائل النص لها دور كلي في دلالة النص نفسه، واللسانيات الحديثة تجاهلت هذه الإرادة لصالح المتغيرات الاجتماعية في المدلولات اللغوية، ومما يؤكد أن الدلالة الاجتماعية الخارجة عن إرادة قائل النص

(١) ينظر نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها/ حسن مصطفى سحلول ص١٣.
(٢) نظرية التلقي/ روبرت هولب ص١٥٣.

غير معتبرة –وخصوصاً وأن الكلام في دوال النص القرآني– وجود مدلولات كثيرة متعارف عليها اجتماعياً قد نقلها الشارع من هذه المدلولات المتعارف عليها إلى مدلولات أخرى وأعطاها بعداً شرعياً، فهي من هذه الناحية وإن كانت تستوعب المعنى اللغوي الاجتماعي؛ إلا أن حمولة المعنى الشرعي فيها أكثر كثافة، فعلى سبيل المثال مدلول: «الإيمان» و «الكفر» و «الصلاة» و «الصيام» و «الحج» وغير ذلك كثير، فكل هذه المدلولات وغيرها لا يرجع في مدلولها إلى السياق اللغوي والاجتماعي فحسب؛ بل لا بد من الرجوع في معرفة مدلولها إلى إرادة الشارع، والاعتماد على الدلالة اللغوية بسياقها الاجتماعي وحدها هنا يعتبر استبعاد للإرادة الإلهية في الدلالة على المراد بالنص، وهذا الاستبعاد يبيّن خطأ الاعتماد على الدلالة اللغوية بسياقها الاجتماعي على حساب الدلالة الشرعية، كما في اعتماد الخطاب العلماني للدلالة اللسانية لمصطلح «الإيمان» و«الكفر» وغيرها –كما سبق بيانه–.

وفي سياق تعلق معنى النص بالإرادة؛ فإن النصوص الإلهية كما سبق نصوص لها طبيعتها الخاصة ليس لبنيتها الفريدة فحسب، بل لأجل جهة صدورها، ولذلك فإن علاقة معاني النصوص القرآنية علاقة مرتبطة بالإرادة الإلهية، والثبات في معاني النصوص القرآنية مع أنه راجع إلى اعتبارات عديدة؛ إلا أن من أهمها تعلقها بالإرادة الإلهية، وهذه الإرادة لا يمكن أن تتغير لظروف مجتمعية، فهي صفة من صفات الله تعالى كغيرها من الصفات الثابتة، ولذلك فدعوى تغير معاني النصوص لحركة اللغة بوصفها حِراكاً اجتماعياً؛ لا يعتبر صفة الإرادة الإلهية وتعلقها بمعاني النصوص القرآنية إطاراً مرجعياً معتبراً، وهو المأزق المنهجي الذي لم توفق فيه اللسانيات الحديثة العاملة في النصوص الشرعية.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

وبعد هذه الجولة السريعة في هذا الموضوع أعود لأسجل أهم النتائج التي انتهى إليها هذا البحث:

١) علم اللسانيات الحديث هو العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت، أم منطوقة فقط، ويهدف هذا العلم أساساً إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينهما، والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكل لغة على حدة.

٢) هناك اشتراك بين المباحث اللغوية التي أنجزها المسلمون قديماً وبين اللسانيات الحديثة؛ لكن الجديد في الدراسات اللسانية الحديثة؛ هو تأثُّر مدلولات الألفاظ بالحِراك الاجتماعي، وذلك بالنظر إلى اللغة من أنها نتاج اجتماعي.

٣) أصبحت اللسانيات الحديثة في صورتها الغربية منهلاً خصباً لنظريات فهم النصوص القرآنية، بحيث استخدمت النظرية اللسانية في الخطاب العلماني المعاصر في فهم القرآن الكريم وتأويله، وذلك بالنظر إلى الدلالات القرآنية على أنها مشروطة بالنظام اللغوي الذي تتميز به اللغة في واقعها الاجتماعي أثناء نزول القرآن، لتعكس الواقع الاجتماعي والثقافي المتغير؛ بما أن اللغة نتاج اجتماعي تتغير حسب القوانين الاجتماعية.

٤) إذا كان الخطاب العلماني اعتمد على اللسانيات الحديثة في فهم القرآن كنظريات مطلقة، فإن النظريات اللسانية ليس نظريات محسومة، وليست نظريات متفق عليها بين النقاد الغربيين، بل إن هذه النظريات بينها تصارع واختلاف كثير، ولم تؤخذ في النقد الغربي على وجه الإطلاق أبداً، وليس هناك مقولات لسانية قادرة على وجه الدقة على تحديد تحولات المعاني أو «المدلولات»، ولذلك فإعمالها على النص القرآني بشكل مطلق مغالطة منهجية لا يمكن تمريرها.

٥) تُغفل اللسانيات الحديثة أن النص القرآني نص قائم على الوحدة الموضوعية سواء بين السور نفسها، أم بين الآيات داخل السورة الواحدة، وهذه التكاملية والوحدة في النص القرآني راجعة إلى أن مُصدِر النص وقائل النص هو الله سبحانه وتعالى من جهة؛ ومعانيه راجع إلى الإرادة الإلهية التي هي صفة من صفات الله التي لا تخضع للتغيرات الاجتماعية.

٦) لا تعد اللسانيات الحديثة السياق الخارجي للنص –وهو مدلولات اللغة أثناء تلقي النص والاستقبال الاجتماعي له وفهم وتفاعل المخاطبين الأوائل له– مع أنه معترف به في بعض المدارس النقدية الغربية، وهو ما تدعمه نظريات «جماليات التلقي» والسياق الخارجي للنص القرآني هو فهم المخاطبين الأوائل بالنصوص أول مرة وهم الصحابة رضي الله عنهم، وعلى هذا فلا يمكن التحول من الدلالات المحكمة والقطعية في النصوص والتي لها معانٍ واضحة لا تحتاج إلى تفسير؛ إلى الدلالات الظنية الناتجة عن الحفريات اللسانية وخصوصاً إذا كان ذلك في مجال النص القرآني.

فهرس المصادر والمراجع

١- أدبية النص محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي/ صلاح رزق، دار غريب، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان/ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٣-الاعتصام/ أبو إسحاق الشاطبي، دار العليان، القصيم.

٤- الأعلام/ خير الدين الزركلي، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

٥- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام/ ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٦- بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية/ ليونارد جاكسون، ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق.

٧- تاريخية الفكر العربي الإسلامي/ محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.

٨- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية/ أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٩-تفسير الطبري/ محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، ٢٠٠١م

١٠-التلقي والتأويل عند عبد القادر الجرجاني وحازم القرطاجني/ فاطمة البريكي ضمن ندوة التأويل في الفكر التراثي والمعاصر آفاقه وتطبيقاته، ابريل ٢٠٠٤م.

١١-جيل دولوز أو نسق المتعدد/ فيليب مانغ، ترجمة: عبد العزيز بن عرفة، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١٢-الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر/ عبد الله الغذامي، النادي الأدبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥م.

١٣-دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة/ نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

١٤-سنن البيهقي الكبرى/ أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، مكة، ١٤١٤هـ.

١٥-سير أعلام النبلاء/ الإمام الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٠م.

١٦-الفكر الإسلامي قراءة علمية/ محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٧-قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب.

١٨-القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني/ محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

١٩-القضايا الأساسية في علم اللغة/ كلاوس هيشن، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٠-قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم/ محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م

٢١-قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر/ حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٢٢-الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ محمد شحرور، دار الأهالي، دمشق.

٢٣-اللسانيات العامة واللسانيات العربية/ عبد العزيز حليلي، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ١٩٩١م..

٢٤-الكتاب والقرآن قراءة معاصرة/ محمد شحرور، دار الأهالي، دمشق.

٢٥-لسان العرب/ محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٦-محاضرات في الألسنية العامة/ دي سوسير، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان.

٢٧-مدارس اللسانيات التسابق والتطور/ جفري سامسون، ترجمة: محمد زياد كبة، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ.

٢٨-مدخل إلى الألسنية/ بول فابر وكريستيان بايلون، ترجمة: طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

٢٩-مدخل إلى اللسانيات/ محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م..

٣٠-المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية/ عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ابريل ١٩٩٨م.

٣١-المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تعلق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م..

٣٢-المستدرك على الصحيحين/ محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣-المستصفى في علم الأصول/ أبو حامد محمد الغزالي تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ .

٣٤-معجم الأفكار والأعلام/ هتشنسون، ترجمة: خليل راشد الجيوسي، دار الفارابي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
٣٥-المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣٦-معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣٧-مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق ، ٢٠٠٤م..
٣٨-من العقيدة إلى الثورة/ حسن حنفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٣٩-منهج اللسانيات والبدائل المعرفية/ عبد السلام المسدي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد الثالث والثمانون صيف ٢٠٠٣م ص٢٣. .
٤٠-منهجية التشريع الإسلامي/ حسن الترابي، بحث ضمن كتاب: قضايا التجديد نحو منهج أصولي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
٤١-الموافقات في أصول الشريعة/ أبو إسحاق الشاطبي، شرح: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت. .
٤٢-موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب/ روني إيلي ألفا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٤٣-موسوعة الفلسفة/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٤٤-النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة/ نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٦م.
٤٥-نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها/ حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
٤٦-نظريات من التراث العربي في اللسانيات الحديثة/ حلام الجيلاني، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الأول، ربيع الأول ١٤٢٥هـ تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. .
٤٧-نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى/ بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٤٨-نظرية التلقي/ روبرت هولب، ترجمة: عز الدين إسماعيل، إصدارات النادي الأدبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٩-النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير/ سعد العبد الله الصويان، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الثاني، جمادى الآخرة، ١٤٢٢هـ، تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. .
٥٠-نقد الخطاب الديني/ نصر حامد أبو زيد، دار سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

* * *

Index of sources and references:

1– Literary text: an attempt to establish an Arab critical method / Salah Rizk, Dar Gharib, second edition 2001.

2– Asrar Al–Balaghah fi Al–Bayan / Abdul Qaher Al–Jarjani, investigation: Muhammad Rashid Rida, Dar Al–Maarifa, Beirut, second edition.

3– Al–I'tisam/ Abu Ishaq Al–Shatibi, Dar Al–Olayan, Qassim.

4– Al–Alam/ Khair Al–Din Al–Zarkali, Dar Al–Ilm for Millions, Beirut, sixth edition, 1984.

5– Linguistics, Modern Linguistics, Principles and Flags / Michel Zakaria, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, second edition, 1983.

6– The Misery of Structuralism: Literature and Structural Theory / Leonard Jackson, translated by: Thaer Deeb, Publications of the Syrian Ministry of Culture, Damascus.

7– The History of Arab Islamic Thought / Muhammad Arkoun, translated by: Hashem Saleh, the National Development Center Beirut, third edition, 1998.

8– Interpretation between semiotics and deconstruction / Umberto Eco, translated by: Said Benkrad, Arab Cultural Center, Casablanca, second edition, 2004.

9– Tafsir al–Tabari / Muhammad bin Jarir al–Tabari, investigation: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al–Turki, Dar Hajar for printing, publishing, distribution and advertising, the first, 2001.

10– Reception and Interpretation of Abdul Qadir Al–Jarjani and Hazem Al–Qartagni / Fatima Al–Bu–raiki within the Symposium on Interpretation in Traditional and Contemporary Thought: Its Prospects and Applications, April 2004.

11– Gilles Deleuze or the Multiple Form / Philip Mange, translated by: Abdel Aziz bin Arafa, Center for Civilization Development, Damascus, first edition 2002.

12– Sin and atonement from structuralism to anatomical critical reading of a contemporary human model / Abdullah Al–Ghadami, Literary Club, Jeddah, first edition, 1405AD.

13– Circles of Fear Reading in Women's Speech / Nasr Hamid Abu Zaid, Arab Cultural Center, Cas–ablanca, second edition, 2000.

14– Sunan al–Bayhaqi al–Kubra / Ahmed bin al–Husayn al–Bayhaqi, investigation: Muhammad

Abdul Qadir Atta, Al–Baz Library, Mecca, 1414 AH.

15– Biography of the Flags of the Nobles / Imam Al–Dhahabi, investigation: a group of investigators, Al–Risala Foundation, Beirut, seventh edition, 1990.

16– Islamic thought, a scientific reading / Muhammad Arkoun, translated by: Hashem Saleh, National Development Center, Beirut, second edition, 1996.

17– Dictionary of Linguistics with an Introduction to Terminology / Abdel Salam Al–Masadi, Arab Book House.

18– The Qur'an from the inherited interpretation to the analysis of religious discourse / Muhammad Arkoun, translated by: Hashem Saleh, Dar Al–Tali'a, Beirut, second edition, 2005.

19– Fundamental Issues in Linguistics / Klaus Heeschen, translated by: Saeed Hassan Behairy, Al–Mukhtar Institute for Publishing and Distribution, Cairo, first edition, 1424 AH.

20– Issues in Criticism of Religious Reason: How Do We Understand Islam Today / Muhammad Ark–oun, translated by: Hashem Salih, Dar Al–Tali'a, Beirut, third edition, 2004 .

21– Contemporary Issues in Our Contemporary Thought / Hassan Hanafi, Dar Al–Tanweer, Beirut, first edition, 1981.

22– The Book and the Qur'an Contemporary Reading / Muhammad Shahrour, Al–Ahali House, Da–mascus.

23– General Linguistics and Arabic Linguistics / Abdelaziz Halili, Sal Studies Publications, Casa–blanca, 1991.

24– The Book and the Qur'an, a Contemporary Reading / Muhammad Shahrour, Al–Ahali House, Damascus.

25– Lisan Al Arab / Muhammad bin Makram Ibn Manzur the African, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.

26– Lectures in General Linguistics / de Saussure, translated by: Youssef Ghazi and Majid Al–Nasr, Noaman House for Culture, Lebanon.

27– Linguistics Schools of Race and Evolution / Jeffrey Samson, translated by: Muhammad Ziyad Kubba, King Saud University Publications, Riyadh, 1417 A.H.

28– Introduction to Linguistics / Paul Faber and Christian Bailon, translated by: Talal Wahba, Arab Cultural Center, Casablanca, first edition, 1992.

29– Introduction to Linguistics / Muhammad Muhammad Yunus Ali, New Book House, Beirut, first edition, 2004 AD.

30– Convex Mirrors from Structuralism to Deconstruction / Abdul Aziz Hammouda, The World of Knowledge Series, Kuwait, April 1998.

31– Al–Mizhar in the Sciences of Language and its Kinds / Jalal Al–Din Abdul Rahman bin Abi Bakr Al–Suyuti, commented: Muhammad Gad Al–Mawla Bey and others, Al–Masaba Al–Asriya, Beirut, 1986.

32– Al–Mustadrak on the Two Sahihs / Muhammad bin Abdullah Al–Hakim, investigation: Mustafa Abdel–Qader Atta, Dar Al–Kutub Al–Ilmia, Beirut, first edition, 1416 AH.

33– Al–Mustafa fi Ilm Al–Usul / Abu Hamid Muhammad Al–Ghazali, investigation: Muhammad Suleiman Al–Ashqar, Al–Resala Foundation, Beirut, first edition, 1417 AH.

34– Dictionary of Ideas and Flags / Hutchinson, translated by: Khalil Rashid Al–Jayousi, Dar Al–Fara–bi, first edition 2007.

35– The Philosophical Dictionary, Murad Wahba, Dar Qubaa for Printing and Publishing, Cairo, 1998.

36– A Dictionary of Language Measures / Ahmed bin Faris, investigation: Abd al–Salam Muhammad Harun, Dar al–Fikr, 1979.

37– Introduction Ibn Khaldun / Abdul Rahman bin Khaldun, investigation: Abdullah Muhammad Al–Darwish, Dar Al–Balkhi, Damascus, 2004.

38– From Creed to Revolution / Hassan Hanafi, Arab Cultural Center, Casablanca, first edition, 1988.

39– Curriculum of Linguistics and Cognitive Alternatives / Abd al–Salam al–Masadi, The Arab Jour–nal for the Humanities, Kuwait University, Issue 83, Summer of 2003, p. 23.

40– The Methodology of Islamic Legislation / Hassan Al–Turabi, research within the book: Issues of renewal towards a fundamentalist approach, Institute of Research and Social Studies, Khartoum, second edition, 1995.

41– Consents in the Fundamentals of Sharia / Abu Ishaq Al–Shatibi, Explanation: Abdullah Diraz,

Dar Al–Kutub Al–Ilmia, Beirut.

42– Encyclopedia of the Flags of Arab and Foreign Philosophy / Ronnie Elie Alpha, Dar al–Kutub al–Ilmiyya, Beirut, first edition, 1992.

43– Encyclopedia of Philosophy / Abdel Rahman Badawi, The Arab Foundation for Studies and Pub–lishing, Beirut, first edition, 1984.

44– Text, authority and truth, the will to knowledge and the will to dominate / Nasr Hamid Abu Zaid, Arab Cultural Center, Casablanca, fifth edition, 2006.

45– Reading Theories and Literary Interpretation and Its Issues / Hassan Mustafa Sahloul, Publica–tions of the Arab Writers Union, Damascus, 2001.

46– Theories from the Arab Heritage in Modern Linguistics / Hallam Al–Jilani, Journal of Linguistic Studies, Volume VI, Issue 1, Rabi' Al–Awal 1425 AH, issued by the King Faisal Center for Research and Islamic Studies.

47– Theory of interpretation, discourse and the excess of meaning, / Paul Ricoeur, translated by: Saeed Al–Ghanimi, Arab Cultural Center, Casablanca, first edition, 2003.

48– Theory of Reception / Robert Holb, translated by: Izz al–Din Ismail, Literary Club Publications, Jeddah, first edition, 1415 AH.

49– Linguistic Theory of Ferdinand de Saussure / Saad Al–Abdullah Al–Suwayan, Journal of Lin–guistic Studies, Volume III, Issue Two, Jumada II, 1422 AH, issued by the King Faisal Center for Re–search and Islamic Studies.

50– Criticism of Religious Discourse / Nasr Hamid Abu Zaid, Dar Sina, Cairo, first edition, 1992.

❊ ❊ ❊